العولمة الدينية آليات صراع الأنا والأخر

السيدة : وحياني نزيهة

طالبة دكتوراه علم الاجتماع الاتصال

ملخص:

تجدر الإشارة إلى أننا لا نقلل، ولا نهون من الخطورة التي يمكن أن تلحقها العولمة الدينية بهويتنا بوجه خاص وبالتنوع الديني بوجه عام، ولكننا في نفس الوقت لا نميل إلى المبالغة في ذلك، حتى لا نصاب بالجمود في تقبل الآخر، مع المحافظة على هويتنا الدينية بعيدا عن التعصب والانغلاق، وإذا كان ديننا يعاني اليوم من الانشطار والتطرف ومن الاختراق الغربي للدين بفعل العولمة الإعلامية، فإن ما يجب أن نفعله هو الانطلاق من الداخل، أي من داخل مجتمعنا الإسلامي نفسه، ذلك لأنه من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي للأنا لما استطاع الفعل الخارجي الممثل في الآخر أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطرا على هويتنا.

الكلمات الدالة: العولمة ، الدين ، الإعلام ، الصراع الديني.

Résumé :

II est intéressant de noter que nous ne sous-estimons pas le danger que la globalisation religieuse peu apporter à notre identité en particulier et à la diversité religieuse en général, mais en même temps nous n'avons pas tendance à exagérer cela, pour ne pas être rigide en acceptant l'autre, tout en préservant notre identité religieuse et si notre religion est aujourd'hui confrontée à la fission et à l'extrémisme et à la pénétration occidentale dans la religion par les médias mondialisés, nous devons commencer par l'intérieur, c'est-à-dire la société, parce qu'il est certain que sans la faiblesse interne du soi-disant moi, l'acte extérieur présenté par l'Autre n'exercerait pas d'influence comme une menace pour notre identité.

Mots-clés : Mondialisation, religion, médias, conflit religieux.

مقدمة:

لا يزال التساؤل عن المعنى الحقيقي للعولمة قائما، ولا تزال أثارها الإيجابية والسلبية محل فحص وتدقيق، ويتساءل البعض عن هل العولمة تمثل ظاهرة حتمية لا مفر منها؟ هل هي ظاهرة جديدة مرشحة للاستمرار والبقاء؟ أم مجرد موضة فكرية تلقائية عابرة مصيرها الزوال؟

المتتبع لواقع العالم العربي اليوم من خلال مواجهته لتسارعات حركة الانفجار المعرفي في كافة الأبعاد في آفاقنا الإيديولوجية والتقنية، يبرز لديه حالة الفجوة المتسعة بين هشاشة الواقع العربي ومنطلقات البعد الحضاري للمستجدات المختلفة، وتثير تلك الفجوة الواسعة المزيد من التساؤلات بحثا عن توازن أيديولوجي وانفتاح تقني،

يخرج عالمنا العربي من حالة الاستلاب التي يحياها، سواء من منظومة القوى العالمية للأخر أو منظومة انتهاك الذات لذاتها واسر الأنا في قوالب جامدة استبدادية لا تعرف لغة التعاطي مع المستجدات الحضارية في أفاق الانفتاح العصري الواعي.

في ضوء تناول أزمات الواقع العربي يبرز على السطح حالة الهوة في البعد الإعلامي العربي وأعاصير العولمة وانعكاساتها الإعلامية وهي تعكس جانبين للأزمة: إما التنحي عنها جانبا والرفض المطلق وبالتالي خلق اللاتواصل بين الآراء المتنوعة، أو التعاطي المطلق معها وبالتالي تغييب تام للوعي العربي وتغييب التخطيط المنظم القائم على الأخذ والرد، أخد ما هو صالح و رد ما لا يخدم الهوية العربية الإسلامية.

فالرغبة في الحفاظ على هوية خاصة مميزة كما يقول **عزام أبو الحمام**(1) هي وسيلة من وسائل الحفاظ على الذات في وجه الآخر، ذلك الآخر الذي لا بد من استحضاره حين تنتعش الرغبة في الحفاظ على عناصر الهوية –في مقدمتها الدين – لأنه بدون الآخر، تنتفي الحاجة أو تضعف لبلورة عناصر هوية مميزة".

إن ما يؤسسه الخطاب حول الآخر هو" خطاب حول الاختلاف فإن التساؤل فيه ضروري حول الأنا أيضا، إن هذا الخطاب لا يقيم علاقة بين حدين متقابلين وإنما بين علاقة بين آخر وأنا متكلم عن هذا الآخر، وتناول الاختلاف لا يفضي إلى نفي الجدلية بين الذات والآخر ولا إلى جوهرة الهوية".

من هنا يكون السؤال حول الآخر الذي يخالفني المعتقد والآخر الذي ينافسني فيه؟ ودور الأنا في رفض أو قبول الآخر من الناحية الدينية والعقدية ؟ وهل مسألة عولمة الدين تفضي إلى الصراع أم هي محاولة لتقريب وجهات النظر وبالتالي التعايش بين الأديان؟

أولا :مفهوم العولمة :

تعتبر العولمة من أكثر العناوين والمصطلحات استخداما في عصرنا الحاضر، بل أكثر قضايا العصر المثارة على نطاق العالم الواسع، حيث تعددت مناهج الباحثين في تعريفها، فنجد البعض يركز على بعد معين من أبعادها سواء اقتصادي أو سياسي، أو اجتماعي، ديني،أخلاقي...والبعض يحدد موقفه منها من حيث مبدأ الرفض والقبول.

1- مفهوم العولمة لغة: الاشتقاق اللغوي لمصطلح "العولمة" جاء من "فوعلة" وقد فرضتها على اللغة العربية حاجة العصر، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى مثل"قولبة"مقولب"أي وضع الشيء في صيغة قالب ومن ثم يكون معنى "العولمة" هو وضع الشيء على مستوى العالم(2)

يقول أحمد صدقي الدجاني :العولمة واحد من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة للكلمة الإنجليزية **Globalization**، والكلمتان الأخريان هما الكوكبة والكونية، عولمة هي ترجمة حرفية لMondialisation بالفرنسية من عالمMonde، وهو المصطلح الأكثر شيوعا(3).

2-مفهوم العولمة من الناحية الاصطلاحية: يمكن اعتبار العولمة من الناحية النظرية وكما يروج لها أنها عملية اجتماعية تزول فيها الحدود الجغرافية وتتلاشى فيها الحواجز الثقافية وتتعاظم فيها عملية الاندماج بين الشعوب، عرفها **أحمد عيساوي** في كونها" هي محاولة الغرب إكساب مدنيته وثقافته وحضارته طابع العالمية، وتقديمها كبديل مرجعي وواقعي لتنظيم سائر شؤون الإنسان والإنسانية، تصورا نظريا وممارسة علمية قي القرن القادم، ضمن المجالات الحيوية الاقتصادية والسياسية والأمنية والثقافية واللغوية والاجتماعية والإعلامية ...مستخدما الوسائل التكنولوجية المختلفة "(4) ومن أبرز الوسائل التي تستخدمها لنشر القيم والثقافة، هي الفضائيات والانترنت.

عالم الاجتماع السياسي **برهان غليون** يركز على ثلاثة أبعاد للعولمة أي ثلاث منظومات في الحياة الاجتماعية والدولية القائمة:(5)

- **المنظومة المالية**: التي جعلت الناس يعيشون في إطار سوق واحدة.
- **المنظومة الإعلامية والاتصالية**: حيث يستطيع جميع الناس القادرين ماديا الارتباط بكل مصادر الاتصال والإعلام العالمية.
- **المنظومة المعلوماتية**: التي تجسدها شبكات الانترنت التي تخرق حدود الدول وتقلل من سيادتهم الوطنية وهكذا فإن المجتمعات البشرية التي كانت تعيش كل واحدة منها في تاريخها الخاص وحسب تراثها المتميز قد أصبحت تسير في عملية تاريخية واحدة.

إن صياغة تعريف دقيق للعولمة مسألة شاقة، فالعولمة ظاهرة اجتماعية إنسانية تختلف حولها وجهات النظر للاختلاف المرجعي، وقد اخترنا من بين التعاريف ما ورد على لسان **عمر جاه** والذي يعكس تجليات العولمة على الحياة الاجتماعية والثقافية والقيمية وأنماط السلوك. حيث قال:" العولمة عملية خلق مجتمع عالمي واحد، ذو ثقافة واحدة، وتتمثل الهدف الرئيس للثقافة الجديدة في تهميش الثقافات التقليدية، بأن يستبدل بها ما يبشر به أنها ثقافة ديناميكية عصرية تقوم على فلسفة لحياة علمانية، مادية تتألف في معظمها من القيم الغربية المادية والفردية والثقافة الاستهلاكية."(6)

ثانيا :مفهوم العولمة الإعلامية:

عصرنا الحاضر هو عصر الإعلام، وهو تعبير موضوعي لواقع الاتصال بين الجماهير، ونشاط اجتماعي الهدف منه تقديم المعلومات والأحداث في المجتمع وعن المجتمع وأفراده، وهذا ما أيده الباحثان(ريد فايلد) و(إبراهيم إمام)

اللذين اعتبرا الإعلام "المجال الواسع لتبادل الوقائع والآراء بين البشر، وهو كذلك ما رآه (ريفرز) بأنه يشمل كافة طرق التعبير التي تصلح للتفاهم المتبادل"(7)، ومن المؤيدين لهذا الرأي العالم الألماني(أتوجروت) الذي أوضح في تعريفه للإعلام أنه"التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير ولروحها ولميولها واتجاهاتها"(8).

وقد استولت وسائل الاتصال والإعلام على أوقات الناس واستقطبت اهتماماتهم، فغدت ظاهرة عالمية لا تقتصر معالمها على مجتمع دون آخر، ولا يصد آثارها الحواجز التقليدية، التي تعارف عليها الناس من حدود جغرافية أو اختلافات لغوية أو تباين ثقافي أو سياسي أو اقتصادي.

يعرف **محمد شومان** العولمة الإعلامية بأنها"عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات، بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة"(9).

ويعرفها **عبد الملك رمان الدناني** بأنها:" تعبير عن اتساع التدفقات الدولية في مجالات الإعلام والمعلومات، ونقل الأفكار والقيم والعادات الاجتماعية المختلفة من خلال وسائط الاتصال الحديثة والمتطورة التي برزت إلى الساحة الدولية بشكل واسع، وانتشرت في عقد التسعينات من القرن العشرين ومنها قنوات البث الفضائي المباشر(10).

ثالثا :أهداف العولمة الإعلامية:

تهدف العولمة بالأساس إلى إرادة الهيمنة الغربية على العالم باستخدام"الآليات الاقتصادية والإعلامية، لذلك تنفي العولمة الآخر، بل تخطط جاهدة من أجل السيطرة عليه، واختراق ثقافته وهويته من أجل صياغة الهوية الواحدة التي هي مرادفة لمفهوم الأمركة(11)

والأهداف التي يرمي إليها إعلام العولمة، وإن كانت ذات طبيعة سياسية واقتصادية في الظاهر،إلا أن مضمونها يرمي إلى تواجد ثقافات جديدة تجعل مسألة قبول الأخر مسألة مقبولة عن طريق تعويد عقول المتتبع لوسائل الإعلام لمحتوى ما تقدمه من أنماط مغرية من الثقافات عن طريق غرس القيم بالتكرار غير الممل، ولعل هذا ما يقصده **شيللر** من قوله "إن السيطرة على البشر والمجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر، وقبل أي شيء الاستخدام الموجه للإعلام، فمهما كان جبروت القوة التي يمكن استخدامها ضد شعب ما، فإنها لا تفيد على المدى البعيد إلا إذا تمكن المجتمع المسيطر من أن يجعل أهدافه تبدو مقبولة على الأقل(12).

رابعا :العولمة الإعلامية وأثرها على الهوية الإسلامية:

تقوم العولمة بإفراز تحديات على كل الساحات التي تتجسد فيها الهوية الإسلامية، فوسائل الاتصال وخصوصا المرئية منها تجاوزت كل الأسوار والحدود، والخطر يكمن في ساحات المواجهة هي التي يكون فيها الدين هدفا مستهدفا نظرا للتناقض الهائل بين إيديولوجية العولمة والإسلام، فالعولمة مثلا تركز على الإنسان (المادي)، على

حساب الإنسان الروحي(العقيدة الدينية)، على العقل لا القيم، على الكم لا النوعية وعلى التغيير لا الاستمرارية(13).

يرى علماء الاتصال أن أبعاد تحديد التغيير في ثقافات الشعوب في العالم وعبر وسائل الإعلام الحالية تنطلق في الفضاء وهي مفتوحة لجميع الشعوب، تجعل العالم الآن يتجه نحو ثقافة واحدة وأمن واحد ولغة واحدة ستسود عاجلا أو أجلا بالنسبة لكل شعوب العالم ، وهذا يعني أن الدول الإسلامية ستتجه نحو الإعلام المسيطر القوي الذي سيحدد هويتها.(14)

يرى **عزي عبد الرحمن** أن ثقافة الصورة الإعلامية في ظل العولمة تحمل قيما متماثلة متشابهة تقوم على النمطية والمعيارية بحيث كما يقول"يصبح إنسان هذه الوسائل يفكر نفس التفكير ويسلك سلوكا شبه موحد, هذا الواقع قضى تدريجيا على التنوع الثقافي الحضاري الذي يميز جماعات تتنوع في اللغة والعوائد والتجربة والإحساس المشترك من بينها المجتمعات العربية الإسلامية, كما تقوم ثقافة الإعلام المعولمة بترويج بضاعات ذات طابع تجاري استهلاكي مرتبط بالإنتاج الغربي.(15)

بعض الكتاب المفكرين يعتقدون أن العولمة ليست مشروعا مضادا للإسلام بل إن الأصل في ذلك المشروع هو المصالح الاقتصادية والسياسية، وبالتالي فان هوامش الهوية لا تخضع إلى نظرية المؤامرة التي يهوس به المسلمون لتبرير عجزهم وضعفهم. إلا أن الواقع الحالي يؤكد وجود نتائج مباشرة لعملية عولمة الحضارة الغربية للمجتمع الإسلامي على عدة أصعدة ويمكن توضيحها في :

1-نشر العلمانية بشكلها العقائدي والسياسي :فعلى المستوى السياسي هناك كلام إعلامي كبير حول الديمقراطية وحرية الرأي وفصل الدين عن الدولة، وعدم إدخال المسائل الدينية في الأمور السياسية، والهدف الحقيقي من ذلك ليس إقامة العدالة والمشاركة السياسة والحفاظ على الاستقرار والأمن، بل قطع الطريق أمام الدعوة الإسلامية في مجال التشريعات والأحكام والمعاملات وتغيير مناهج التدريس والتربية والبحث الاجتماعي .

والجدير بالذكر ظهور بعض المفاهيم الإصلاحية الجديدة مثل ما يسمى **تجديد الخطاب الديني** و**تغيير المناهج**، بعد11 سبتمبر حيث تحول إلى موضوع اهتمام كل الشرائح: النخبة المثقفة، المؤسسات الدينية الرسمية، الصحافة، الاتجاهات الفكرية والدينية، تحول الحديث من حديث عن الإرهاب إلى حديث عن إصلاح الوطن العربي وتجديد الخطاب الديني، وعلى هذا "فالحرب على الإرهاب بمفهومه الواسع وغير التقليدي اتسع ليشمل حرب الأفكار"(16) بناءا على التشخيص الأمريكي للعنف والإرهاب الإسلامي وأسباب تولده، ومن تم وسائل مكافحته، وكيف تحول التجديد من مطلب للإصلاح الإسلامي إلى مطلب للإصلاحية الأمريكية، ومصير التجديد الإسلامي في هذا الجدل وكذلك مصير المشروع الأمريكي معتمد على جدل: الديني والسياسي.(17)

الدين والعلمانية، وفصل الدين عن الدولة، فالإصلاح الإيديولوجي تحول إلى إرغام أيديولوجي ووسيلة لتحقيق مصالح.

2-الأسرة والمرأة:

لقد توالت التغيرات الاجتماعية والثقافية على الأسرة العربية في العقود القليلة الماضية أبرزها ظاهرة العولمة وما رافقتها من ثورة معلوماتية ، حيث أحدثت تغيير في المواقف والاتجاهات والقيم الإنسانية لدى أفراد المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص،(18) أصبحت الأسرة تتميز شيئا فشيئا بإلغاء سلطة الأب، وأصبح الأبناء يفضلون الحرية المطلقة دون التقيد بقيم المجتمع أو الأسرة في اللباس والسلوك ، وإلغاء حاجز الوقار بين الوالدين والأبناء وهذا ما بينه الباحث **طه عبد الرحمن** في كتابه روح الحداثة حيث ذكر أن الأسرة الحديثة قد انقلبت عن القيم الأخلاقية وتحولت السلطة من الأب إلى الأم في إدارة شؤون الأسرة ، وإنهاء الصفة النموذجية للأب وإنهاء تحكمه في النسل،إضافة إلى تغلب النزعة المادية والنفعية والرغبة الجامحة في الاستكثار بالمال.(19)

حتى أنه ظهرت بعض المطالب الغريبة في الآونة الأخير لا تقرب بأي صلة بالدين الإسلامي ولا بهويتنا الدينية، كالكلام حول موضوع إلغاء الولي للمرأة في الزواج، مع أنه شرط أساسي من شروط صحة الزواج من الناحية الدينية، ففي عاداتنا وتقاليدنا الاجتماعية الجزائرية مثلا يعتبر حضور الأب أو العم أو الخال في هذا الزواج شيء ضروري يوحي بقيمة المرأة وهيبتها وكأنها تقول أنها ليست وحيدة وإنما هناك من يدعمها ويقف إلى جانبها في السراء والضراء، والغريب في الأمر أن في إحدى القنوات الجزائرية مثلا تم استضافة قاضية سابقة تنادي بهذا المطلب، حيث نجد أن مبرراتها لإلغاء الولي هي مجرد استثناءات، بمثل القول أنه من المخجل ذهاب مرأة لها مكانة في المجتمع أو لها منصب عالي مع وليها لعقد قرانها، أو لكون أن بعض الزيجات قد تمت بطريقة تعسفية ودون رضا المرأة، وهي استثناءات في المجتمع الحالي بل لا تكاد موجودة، فالمجتمع الجزائري اليوم لا يمنع على الإطلاق من السماح للمرأة من اختيار الزوج.

كما كثر الكلام حول مشروعية وجود المثليين في تونس، والترويج لفكرة المطالبة بالسماح للمراهقين بممارسة الجنس كتربية جنسية عبر شبكات الفايسبوك. والإفراط في المطالبة بحقوق المساواة بين المرأة والرجل، وغيرها من المطالب بسم الحرية في الممارسات، والتقدم وفهم الأخر. وهي مطالب لا تمثل أي تمثيل المطلب الاجتماعي ولا تخدم هويتنا الإسلامية.

ومن المفهومات التي استخدمت في هذا المجال وهو مجال صراع القيم داخل الأسرة وداخل المجتمع، مفهوم **دوركايم** عن "الأنومي" أو"اللامعيارية" ويقصد بذلك أن حالة من فقدان المعايير، التي تنشأ حينما يشهد النظام الاجتماعي العام ضربا من التفكك والانحلال، إذ يلاحظ أن طموحات الناس وتطلعاتهم لم يعد من الممكن

إخضاعها لمتطلبات النظام الجمعي، ومن ثم تصبح تطلعات جامحة يتعذر تحقيقها في معظم الأحيان، فالمصدر الأساسي لحالة فقدان المعايير هو ذلك التوتر القائم بين السلطة الأخلاقية المجتمعية –والتي يمثلها في المجتمع المسلم الدين– وبين المصالح الفردية الناتجة عن الانفتاح اللامحدود على الآخر والانبهار بثقافته ، فيفشل الضمير الجمعي –المتمثل في الوازع الديني لدينا– في ضبط ومراقبة هذه الطموحات والمصالح والفردية.(20)

3–اللغة وما يتصل بها من رموز : تعمل العولمة على إزاحة العربية أو تشويهها وتهجينها ، حيث أصبحت المراسلات الالكترونية تكتب باللغة الأجنبية وتقرأ باللغة العربية وهذه ما هي إلا بداية للمحاولة في طمس هذه اللغة لغة القران والتي هي جزء من عروبتنا وهويتنا.

4–الرموز والطقوس: امتدت العولمة إلى أكثر الأشياء تمتعا بالتقديس والولاء الفردي أو القومي، وهي استغلال المناسبات الدينية لأغراض اقتصادية وترويجية حيث يغلب الطابع المادي على بعدة العقائدي والديني ، فشهر رمضان مثلا يجري تحويله عام بعد عام إلى مناسبة للترويح الكثيف والترويج للسلع والمنتجات الاستهلاكية وتساهم في ذلك بقوة مختلف وسائل الإعلام. باختصار فالعولمة تستهدف الهوية الإسلامية من خلال السيطرة على الإدراك(الذات والأخر) بحيث يتم إخضاع النفوس وتعطيل فاعلية العقل والتشويش على نظام القيم وتنميط الفروق، وقولبة السلوك (وفق نمط مرسوم ومحدد) وتتولى هذه الوسيلة تكريس الأوهام التالية :(21)

1–وهم الفردية:أي اعتقاد المرء أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه. ويهدف هذا النوع من الوهم إلغاء الهوية الجماعية وكل إطار جماعي.

2–وهم الخيار الشخصي: فباسم الحرية يجري تكريس النزعة الأنانية وطمس الروح الجماعية.

3–وهم الحياد : بمعنى تحلل الشخص من كل التزام وارتباط بأثر قضية .

4–وهم الاعتقاد بثبات البشرية وثبات الفوارق الاجتماعية...

خامسا :مظاهر العولمة الدينية المهيمنة للآخر:

العولمة الإعلامية مست الجانب الديني للأمة الإسلامية، فتحول الدين مجال صراع كبير من شكله التقليدي بين الأنا والأخر عبر الحروب الميدانية، إلى صراع أخر هو صراع الإعلام، صراع الأفكار، صراع الأيديولوجيات، ومن يفرض نفسه على الأخر، فالدين لم يعد دين عالمي وإنما دين معولم.

وفي كلمة ألقاها أحد أعضاء جلسات المؤتمر الإسلامي للإعلام الذي أنعقد بجدة في التسعينات، تبين مدى خطر الهجمات الشرسة للإعلام الغربي ضد العرب جاء فيها : "إن العالم اليوم يفتح صفحة جديدة في العلاقات البشرية التي سهلتها وسائل الإعلام عبر الأقمار الصناعية، وهاهي أمة الإسلام تواجه الأخطار في تعاقب سريع متصاعد من الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية، وهي أحداث مافتئت تغير من عقائدنا وتطرق

بمعول الهدم الشعوب الإسلامية وترسخ الجهل وسوء الفهم بيننا، ولقد كان لجهل الأمة الإسلامية بعقيدتها وعدم إدراكها لثقافتها وما يجري حولها نتيجة متوقعة، فقد جعلها هذا تأخذ الخبر والمعلومة المشوهة عن الإسلام من أعدائها وهي معلومات لها إستراتيجيتها وأهدافها، وما لم نؤمّن لأمتنا الإسلامية ولغيرها من الأمم المعلومات الصحيحة عن الإسلام حتى تصبح مقولة(**مارشال مكلوهان**)وهو أحد علماء الاتصال واقعا ملموسا ونلخصه بالقول: "**كلما ازدادت المعلومات تحولت المنظومات**"، لذا فإننا سنزيد المعلومات التي تبث عن هذه الأمة وعن تاريخها وثقافتها وإنني مدرك بأنه سيكون هناك تحول في كثير من المنظومات عن الإسلام سواء من المسلمين أم غيرهم ما لم نتدارك الوضع.(22)

1-العولمة وظاهرة الإسلام فوبيا:

ممارسة الإعلام الغربي الحملات ضد المسلمين كثر بعد11 سبتمبر 2001، حيث أصبح الإسلام يوصف بالإرهاب والتطرف والهمجية وجعل المسلم العدو الأول الذي يجب مهاجمته في كل موقف إعلامي، وظهر فوبيا الإسلام أو الإسلام فوبيا حيث تبنى الغرب صورة نمطية سلبية تجاه الإسلام والمسلمين ومن مظاهر هذه الظاهرة : ومن مظاهر هذا الصراع العولمي الديني:

- السعي إلى تغيير القيم الدينية في الدول الإسلامية.
- منع اللغات الوطنية من النهوض بوظائفها الطبيعية والفكرية.
- استهداف الإسلام والمسلمين كأعداء جدد للغرب عن طريق التشكيك في الدين وتشويه رموز وانتهاك الأديان عموما ،وتنميط صورة المسلم الإرهابي.
- الضغط على الدول الإسلامية بضرورة الانفتاح وتقبل الاختلاف الديني والطائفي بسم الحريات الدينية والاعتقادية، مما زاد من تعمق الخلاف وظهور ما يعرف بالتطرف نتيجة الطائفية.
- فرض المفهوم الإيديولوجي الغربي السياسي بفصل الدين عن الدولة أي العلمانية وما انجر عنها من تبعات في الصراع الدائم بين السلطة والإسلاميين.

توجد وجبات كاذبة كاملة عن الديانة الإسلامية وتاريخها، فهم يدعون أن الدين الإسلامي الذي هو جزء من الهوية العربية ينادي بكراهية المسيحية واليهودية، لذلك فإن معظم وسائل الإعلام الغربية غير موضوعية لأنها لا تنصف المسلمين رافعة شعار "من ليس معنا فهو ضدنا".

ففي دراسة أعدها المعهد الألماني لحقوق الإنسان عن صورة الإسلام في ألمانيا أظهرت نتائج الدراسة التي نشرها عام 2006 تحت عنوان(الرّهاب من الإسلامIslamophobie) أن83% من الألمان يرى الإسلام

متعصب،وأن 71% يراه غير متسامح،بينما يعتبره60% غير ديمقراطي، وأن 91% من المستطلعين أفادوا أنهم لدى سماعهم كلمة إسلام يذهب تفكيرهم نحو اضطهاد المرأة.(23)

نجد في هذا التقرير أن نظرت الغرب للإسلام أصبحت نظرة سلبية وذلك بسبب الحملات الشرسة للإعلام الدولي ضد الإسلام وتشويه قضايا الإسلام بكونه فكر متطرف يدعو للإرهاب والعنف والقتل.

كما أن الغرب ودول أوروبا عموما تتعامل بمنظور الاستعلاء والتبعية تحت شعار ضرورة دعم المجتمعات في سباق التحضر، الذي يؤدي إلى الذوبان الغربي مع مرور الوقت عن طريق التأثير في الفكر والوجدان وطمس المعالم الثقافية والدينية وتجسيد محتوى الاغتراب الثقافي، لتحطيم الكيانات الوطنية حيث تنشأ الأجيال مشتتة بين أنماط مختلفة من الآراء والأفكار، وقد أوضح **دافيز** تفسير لهذا الصراع الذي يسميه"صراع الأجيال"(24) بين الانصياع للمجتمع بتقاليده وأعرافه وبين التحرر والاستقلالية، مما يؤدي إلى التدبدب الفكري واليأس والأمراض النفسية التي تهدد شخصية شبابنا ونسائنا على حد سواء.

سادسا :الإعلام الإسلامي هل يقبل الرأي الآخر؟

هناك امتداد ملحوظ للإعلام الإسلامي في جميع وسائل الإعلام المسموعة والمرئية مما جعلنا نتساءل حول قبول الإعلام الإسلامي للرأي الأخر، سواء كان هذا الآخر من خارج الحيز الإسلامي أي المخالف في الدين أو من الإسلامي المختلف، أي ينتمي للإسلام لكن له تمايز في المذهب أو الطائفة أو التنظيم السياسي .

1–مفهوم الإعلام الديني:

– الإعلام الديني" إعلام متخصص في المجال الديني يهدف إلى تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق دينية – سماوية أو وضعية بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة"(25) ويعرف **محي الدين عبد الحلم** الإعلام الإسلامي بأنه :" تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها ، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويترجمها إلى واقع في سلوكه ومعاملاته "(26).

2–أهمية الإعلام الديني في تشكيل الوعي :

يعتقد المفكر **مسفر القحطاني** أن الوعي الديني الإسلامي في بنيته الرئيسية لا يعاني من مشكلة إثبات الوجود، فهو حاضر في المكونات الأصيلة للدين من النصوص القرآن والسنة الواضحة في دلالتها وثبوتها من قرون طويلة، ولكن الإشكال هو كيف نكشف نظرية الوعي في بطون هذا الإرث الديني؟.(27)

من هنا تكمن أهمية الدين، حيث يعد عنصر أساسي من عناصر التنشئة الاجتماعية في المجتمعات المسلمة، وبالتالي هو يساهم بشكل كبير في تشكيل الهوية الدينية للأفراد والجماعات، وهو أحد المكونات لها.

ويعرف **دوركايم** وهو أحد علماء الاجتماع الدين على أنه "عبارة عن نظام متضامن من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالمقدسات،أي المنفصلة والممنوعة، إن هذه المعتقدات والممارسات توحد جميع من يعتنقها في مجتمع معنوي واحد".(28)

كما يعرفه **عبد الله دراز** : "الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهو وضع إلهي يرشد إلى الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"(29).

وقد استغلت جهات عديدة الوسائل الإعلامية كوسيلة لنشر الدين وفي مقدمتها الهيئات التبشيرية والدينية، حيث يعتبر الإعلام وجه واحد من أوجه الحضارات، غير أنه الوجه المعبر عن العقيدة الدينية والمذاهب السياسية والاتجاهات الفكرية وهو يتأثر بتلك العوامل ويؤثر فيها، وفي بعض الأحيان يكون الإعلام هو السلاح الوحيد المستخدم في الوقت الحالي ضد التيارات المعادية مثلا للعقيدة الدينية خصوصا منها الغربية.

والإعلام الإسلامي بما له من خصائص وإمكانيات، يعد من أهم وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحالي ومن انسب الوسائل لنقل الرسالة الدينية سواء كانت هذه الرسالة دينية بحتة أم كانت رسالة عامة تعالج أحدث القضايا المعاصرة انطلاقا من خاصية الشمول التي يتميز به الدين، ووفقا لهذه الخاصية فإن المجال مفتوح أمام الخطاب الإعلامي الديني المتخصص لتناول مختلف الموضوعات والقضايا في مجال الحياة المختلفة، وهو يلعب اليوم الدور الخطير في نشر الوعي وفي التنشئة الاجتماعية.

حيث في دراسة قمنا بها حول موضوع " مشاهدة الفضائيات الإسلامية وعلاقتها بالوعي الديني" وجدنا أن تأثير الفضائيات الدينية يبدو واضحا لدى عدد كبير من أفراد المجتمع خصوصا الشباب المتدين، وهي تلقى قبولا وأهمية كبيرة لدى المشاهد، وقد اعتبرها البعض بمثابة المرجعية الدينية وهو واقع ينسجم مع طبيعة وتعدد الظاهرة الدينية المتنامية والمنتشرة.

3-نظرة عامة حول الواقع الإعلامي الديني من حيث الأنا:

عرف لي ما هو الرأي الآخر وسأجيبك بدقة، فالمفهوم واسع وكبير ولكن دعني أختصر لك الإجابة الإعلام الإسلامي في أغلب الأحيان لا يقبل الرأي الأخر، سواء كان هذا الرأي مخالف للعقيدة الإسلامية أو مسلم له انتماء معين، والاستثناء من هذه القاعدة أمر شاذ، فإذا ما تصفحت موقع ديني معين أو قناة دينية معينة، سأقول لك أنها تمثل الفكر كذا أو الحزب كذا أو الطائفة كذا، لأنها تؤصل فكرها لا غير، معارضة بذلك أراء الآخرين، نحن اليوم نعيش في عصر العولمة ونشهد ضعف المسلمين، لكن الإعلام الإسلامي تتبناه صحوة إسلامية،

فالصحوة تحولت إلى نماذج من دول وثورات وأحزاب سياسية وجماعات دعوية وتحالفات، "وهنا يأتي الاختلاف من داخل ما نسميه تعميما يجمع: جماعة(النحن) فتصبح الفكرة أو العقيدة أو الأيديولوجية وطنا جديدا أو مجتمعا يجمع المنتمين إلى الفكرة وقد دل الواقع الراهن على اختلاف الإخوة الأعداء في القضايا الفكرية والأيديولوجية قد يكون أكثر شراسة من خلاف الأخر في الدين."(30)

ما يحدث اليوم هو وجود ذلك الصراع الواضح بين القنوات الدينية المختلفة فالكل يهاجم الكل، والقلة من تلتزم بالحكمة أو الصمت، هناك إعلام ديني متناحر وكأنه يحاول عولمة الإسلام بطريقة محددة، لا كما هي متأصلة في الدين الإسلامي أي الدين الرسمي وإنما هي محاولة لعولمة الدين الشعبي على باقي الدول الإسلامية وغير الإسلامية. والنتيجة نجد أن لا الأنا يقبل بالأنا الذي يشابهه في الدين (الإسلام) ولا الأنا يقبل الأخر، ولا الأخر يقبل الأنا. هذا هو واقع العولمة وواقع الهوية وواقع الدين.

ففي الوقت الذي نشاهد فيه تصاعداً في ظهور الفضائيات النصرانية على سبيل المثال، فإن توجهها الديني يكفي في التحذير من أخطارها، لكن ما لفت انتباه العديد من الباحثين من بينهم الباحث **مُحَمَّد الغيلاني** من خلال دراسته الخطاب الديني في القنوات الفضائية العربية دراسة وتحليل للمضمون:(31) "في كون ما أصبح الدين عليه كرهان إعلامي تسويقي تتجاذب الصراع والتنافس حوله قوى اجتماعية، وسياسية، ودينية أيضا. فتعاظم حضور الدين في الفضاء العام، وتحوله إلى مطلب، له علاقة بتنافس الهويات، والصراع على تفسير النص الديني، وتأويله وارتباط التدين بالمشاريع الدينية الحركية، أظهر أن للدين طاقة تعبوية ونفسا سياسيا ممانعا، مما لم يعد مسموحا ترك هذا الرصيد الروحي دون مراقبة وتوجيه وترويض، كما لم يعد مسموحا أن يُستعمل الدين من قبل قوى غير متحكم بها."

لقد أصبحت القنوات الفضائية الدينية هوية بصرية (لمسجد افتراضي أو دار فتوى افتراضية) لمنتوج ديني يُشرف على تشكيل عقل المتدينين وإعادة صياغة المفاهيم الدينية، والتحكم في التحولات الدينية، والاجتماعية، ومنظومة إنتاج القيم من خلال التحكم في منسوب التدين لبناء مجتمع متدين على المقاس. ومع ذلك، تمثل هذه القنوات مصدرا أساسيا من مصادر المعرفة الدينية للمتدينين؛ لأن المواطن العربي وجد فيها ملجأ اضطراريا جراء اختناق الفضاء الديني العام (أو بالأحرى انعدام هذا الفضاء)، ولأن قيم المجتمع الاستهلاكي قذفت به في زوايا التهميش ورسخت لديه الشعور بالعجز، مما عزز لدى شريحة اجتماعية واسعة نزعة الخلاص الفردي/الأناني.

لم ينجح هذا الخطاب في تعويض الجمهور عن الفراغ الروحي بدليل تناسل هذه الفضائيات وتنافسها على استجلاب أكبر قدر ممكن من المشاهدين، مما أسهم في توسيع رقعة فوضى هذا الخطاب لا يصنع رأيا دينيا عاما، إنه ينتج عقلا فوضويا كميا؛ لأن الجمهور في هذه الحالة واقع تحت التأثير، معجب وليس ناقدا.

خطاب غير متماسك يعتمد استمالة الأذواق في بناء وتشكيل تدين الجمهور، وهو لذلك لا يصنع متدينين، بل زبائن مستهلكين ومدمنين.وهو يقتات على التسيب السائد في المعارف الدينية؛ **فالدين في مجتمعاتنا لا يعلم، بل يورث.**

خطاب ديني هدفه كيف يصنع متدينا قابلا للسيطرة عليه، عاجزا عن اتخاذ القرار والمساهمة في تغيير مجتمعه، فهناك ما يمكن تسميته بعولمة الدين الإسلامي الشعبي الطائفي على حساب الدين الرسمي الذي يستند على النصوص الأصلية، مما ولد صراعات على مختلف التيارات الإسلامية، مغفلين بذلك هوية كل ثقافة ومجتمع إسلامي على حدا.

خاتمة

إن إستراتيجية الإعلام الإسلامي تكمن في نشر وعي الثقافة الدينية ومبادئ وقيم الإسلام، والتعريف بالهوية الإسلامية والحفاظ عليها، والدفاع عن الفكر الإسلامي من جانب آخر، وهذه ليست بالقضية السهلة، فهناك مشكلات عدة تواجه الإعلام الإسلامي، منها داخلية تتعلق بطبيعة القائم بالاتصال وتركيبة الخطاب الموجه ، ومشكلات خارجية تتعلق في عدم القدرة على التمازج مع الآخر في عصر العولمة، أما الشق الأول من المشكلة فيكمن في أسلوب الخطاب المنغلق والفوقي، المعتمد على أساليب الخطب والمواعظ التي تستخدم في خطبة الجمعة، لذا فعلى القائم بالاتصال أن يبحث عن طرق وأساليب لإثارة الجمهور وجذبه إليه، ليس المتدين فحسب وإنما حتى لغير المتدينين، وهنا يقترح أحد خبراء الإعلام الإسلامي"أنه يجب أن تكون مكونات الرسالة الإسلامية متمازجة بين الخطاب وثوابته، وبين مهنية الإعلام لإيجاد صيغ مؤثرة وفاعلة تصل إلى المتلقي."(32)

المصادر والمراجع :

1عزام أبو الحمام: **الإعلام والمجتمع** ،دار أسامة، عمان، ط1 ، 2011 ،ص106

2-محمد عابد الجابري،**قضايا في الفكر المعاصر:العولمة صراع الحضارات** ، مركز دراسات الوحدة العربية،،بيروت،1997،ص135

3-أسامة أمين الخولي،**ندوة العرب و العولمة**،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1998،ص63

4-أحمد عيساوي: **مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال**،دار الكتاب الحديث،القاهرة،ط.1، 2014، ص51

5- أحمد زردومي، **العولمة و الهوية الثقافية**،، منظمة اليونسكو بين حماية الخصوصية و أمل العولمة، مخبر علم الاتصال و الترجمة، الجزائر،2010،ص109.

6-نسيمة طبشوش:**القنوات الفضائية وأثرها على القيم الأسرية لدى الشباب**،كنوز الحكمة،الجزائر،2011،ص15

7-أحمد عيساوي: **منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي**،دار الكتاب الحديث،ط.1،القاهرة،2012، ص44.

8-أحمد عيساوي: نفس المرجع، ص 44

9-محمد شومان: **عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي**،مجلة عالم الفكر،مجلد28،عدد02 ،1999 ، ص161.

10-نسيمة طيشوش:المرجع السابق،ص16

11-المنصف وناس:**العولمة الإعلامية والمجتمع العربي**، مجلة اتحاد الإذاعات العربية،عدد04، 1998،ص10

12-هربرت شيللر :**المتلاعبون بالعقول**،تر.عبد السلام رضوان،المجلس الوطني الثقافة والفنون،الكويت،1999،ص206

13 -نعمان عبسي: **العولمة و الهوية الثقافية، مقال العولمة الثقافية الغربية و الهوية الاسلامية الهيمنة الناعمة** ،مخبر علم الاتصال، الجزائر، 2010،ص221

14-عقيل إبراهيم القين:**ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي**، المجلد الرابع ،مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض،2004،ص106

15-عزي عبد الرحمن و آخرون،**عالم الاتصال**،دراسات إعلامية،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،الجزائر،ص24

16-أعلنها دونالد رامسفيلد وزير الدفاع في مقابلة مع قناة أي بي سي التلفزيونية نوفمبر2003
17-عبد الرحمن الحاج وأخرون: **الإسلام في عالم متغير سياسات الإصلاح الإسلامي بعد 11 أيلول**،دار الفكر،آفاق معرفية متجددة، ط1 ، 2005 ،ص 14
18- نسيمة طبشوش: **المرجع السابق**،ص205
19- طه عبد الرحمن:**روح الحداثة**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006،ص114
20- مُحَمَّد علي مُحَمَّد: **الشباب العربي والتغير الاجتماعي**، دار النهضة العربية،بيروت، 1985، ص90
21-فلاح خلف علي الربيعي: **آثار العولمة الاقتصادية على الهوية الثقافية-*** عن ملتقى مخبر علم الاتصال للبحث و الترجمة -05-07 www.uluminsania.net 2007
22- عقيل إبراهيم القين:**المرجع السابق**،ص105-106
23- طه أحمد الزيدي،حسين عليوي الطائي، **دراسة في تأثير القنوالت الفضائية على المجتمع و فناته**،دار النفائس،ط.1،عمان، 2013، ص200
24- نسيمة طبشوش:المرجع السابق،ص223
25- فاطمة حسين عواد،**الإعلام الفضائي**،دار أسامة،عمان،ط. 1 ،2009،ص18
26- محي الدين عبد الحميد، **الإعلام الإسلامي: الأصل القواعد الأهداف**،مؤسسة اقرأ الخيرية،1992،ص54
27- مسفر القحطاني:**مقاربات فلسفية حول الوعي وأثاره التجديدية**،دم،2011،ص03
28- Emile Durkheim :**les formes élémentaire de la vie religieuse** .parie.prf.5ed.1968.p65
29- مُحَمَّد عبد الله دراز:**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، مطبعة السعادة ، القاهرة،1969،ص29
30- حسين عبيد الشمري:**صورة الآخر في الخطاب القرآني دراسة نقدية جمالية**، دار الكتب العلمية، بيروت،2008،ص21
31- مُحَمَّد الغيلاني : **الخطاب الديني في القنوات الفضائية العربية دراسة وتحليل للمضمون**،موقع
32- طه احمد الزيدي،حسين عليوي الطائي،**دراسات في تأثير القنوات الفضائية على المجتمع و فناته**، دار النفائس، ط.1، عمان،1993، ص1.